

مجموعة محمد وسعيد :

سائل بار و بين أخوين

إعداد

أمير سعيد السحار



رسوم
عبد الرحمن بكر

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل مدني بالقاهرة

سائل بار !!

كان أسيد بن مالك بن ربيعة رضى الله عنه من الأبطال
المجاهدين الذين شهدوا بدرًا ، وأحدا ، والمشاهد كلها
مع رسول الله ﷺ . وابتلاه الله سبحانه آخر أيامه قبل
مقتل عثمان - رضى الله عنه - بالعمى ، وفقد
البصر ، فرفع بذلك درجته ، وأعلى
مكانته .

وكان أسيد يُحبُّ الرسول
الكريم ، ويحرم على

ما يُقال فيه من الكذب ، ومسايل العلم
والعرفان .. وبينما هو ذات مرة في مجلس الرضا ، أقبل
رجل من بني سلمة ، وفي نفسه شيء
فريد أن يستوضحه لرسول الله





فقال في احترام ووقار :

- يا رسول الله ، هل بقي من برّ أبويّ شيء أبرّهما به
بعد موتيهما ؟ لقد بذلتُ كلَّ ما في وسعي من البرّ لهما ،
وطاعتيهما أثناء حياتيهما ، واعتقدُ أنه من البرّ لهما بعد
الممات أن أبحث عما يُفيدُهما ، ويُنزلُ عليهما رحمةً
وعطفًا .. !!

وأصاخ من في المجلس حول الرسول ، فهذا سؤال
كلّ فرد ، ومسألة تعني كلّ إنسان .. فمن لا يُريدُ أن
يبرّ والديه بعد الممات حتى يتصل البرّ ، ويبقى الفضلُ
والودّ .. ؟





فقال عليه الصلاة والسلام :

— نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما وإنقاذ
عهديهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا
بهما ، وإكرام صديقهما .. !!

والعقد ما بين الحواجب ، ولاحت علائم الفكر
على الوجوه ، وراح كل فرد من
هؤلاء الأفذاذ يفكر فيما سمع .

فهذا لا يكاد يفهم معنى الصلاة
على الوالدين ، فهو يصلي الصلاة
المفروضة ، وهي أقوال وأفعال
تبدأ بالتكبير ، وتنتهي
بالتسليم على كيفية خاصة بأركان
وشروط معلومة ، ولكنه يفهم أيضا

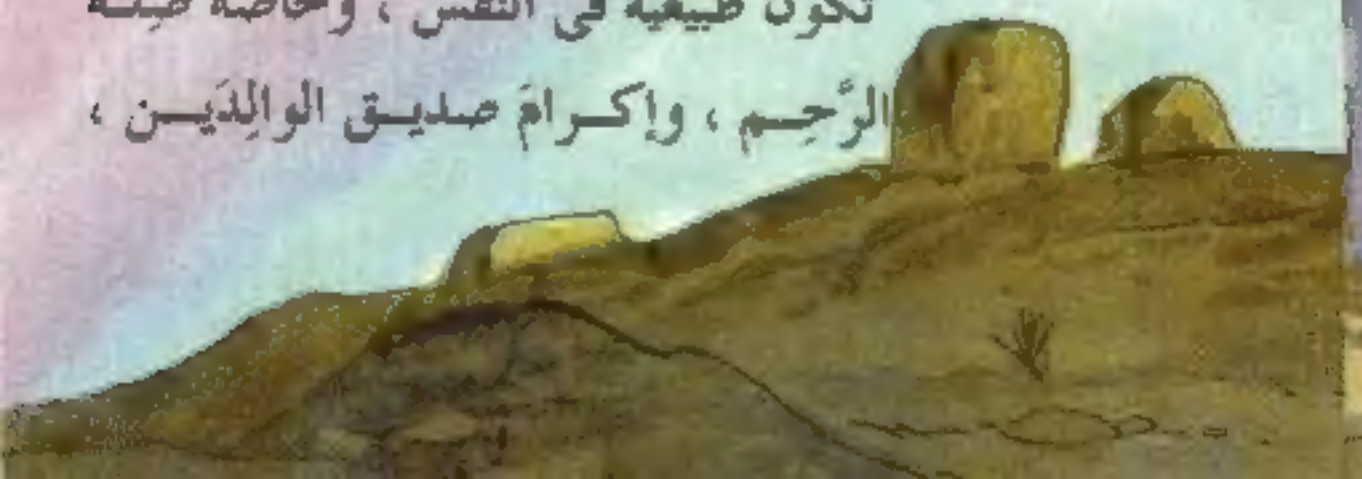


أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الرَّسُولِ هُوَ الدُّعَاءُ لَهُ ، وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هِيَ الرَّحْمَةُ . إِذَنْ فَالصَّلَاةُ عَلَى الْوَالِدَيْنِ
الدُّعَاءُ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ ، وَالْمَغْفِرَةِ ، وَالْعَفْوِ الشَّامِلِ ، الَّذِي
يَمْحُو الذَّنْبَ ، وَيُعْلِي الْمَكَانَةَ وَالْمَنْزِلَةَ .

وَهَذَا يَفْهَمُ مَعْنَى الصَّلَاةِ ، وَلَكِنَّهُ يَعْرِفُ أَيْضاً أَنَّ
الِاسْتِغْفَارَ هُوَ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ ، وَالصَّلَاةُ تَفِيدُ هَذَا الْمَعْنَى ..
إِذَنْ فَلَا مَنَاصَ مِنْ اعْتِبَارِ الصَّلَاةِ أَعَمَّ ، وَأَشْمَلَ .

وَأَمَّا الثَّالِثُ فَيَعْرِفُ هَذَا كُلَّهُ ، وَيَعْرِفُ كَذَلِكَ إِتْفَادَ
الْعَهْدِ وَهُوَ كُلُّ مَا قَطَعَاهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا ، مِنْ
وَصِيَّةٍ وَصَدَقَةٍ وَتَبَرُّعٍ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِمَّا تَجْرِي بِهِ الْعَادَةُ قَبْلَ الْوَفَاةِ ، وَخَاصَّةً إِذَا طَالَ
مَرَضُ الْمَوْتِ ، وَلَكِنَّهُ يُعْجَبُ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ تَكَادُ
تَكُونُ طَبِيعَةً فِي النَّفْسِ ، وَخَاصَّةً صَلَاةَ

الرَّحِمِ ، وَإِكْرَامَ صَدِيقِ الْوَالِدَيْنِ ،



فكيف يُعطى الله ثواباً على هذا ؟ ثم كيف يكون هذا براً
بالوالدين بعد موتهما ؟ ! إن الله سبحانه مهَّد للإنسان
طريق الخير إلى حدٍّ كبير ، وجعل له فرصة سانحة في كل
عمل من الأعمال . إنه مُجرِّد الفضل العظيم والمِنَّة الجليلة
التي لا تقف عند حدٍّ .. وهل بعد إثابة الله العبد
على إتيائه أهله ، ولذته التي يهواها ويحبها ،
ومتعته التي يسعى إليها ويريدُها - هل بعد
هذا عجبٌ ودهشة .. أجل إنه الفضل ،
والفضل الإلهي لا غير - وليس أدلُّ على
ذلك أيضاً من النية

وأتجاهها إلى الأعمال .. إن الإنسان
يأكل ويشرب ، وفي مكنته أن يُحوَّل
هذا كله إلى عمل فيه أجر ، وعبادة
الله جلَّ شأنه ، وذلك حين يقصِدُ بطعامه
وشرابه أن يُقوِّيه الله على عبادته ، ويُعينه
على المجاهدة والمصابرة ، ومُناضلة
النفس والهوى والشيطان .. !!

وبقى السائلُ في نفسه خلجةٌ حائرة .. فهو لا يدري





على وجه التحقيق كيف يصل هذا الأجر وذلك الثواب ، إلى والديه ، مع أنهما قد فارقا الحياة ، والله يقول : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » بيد أن تفكيره

لم يطل ، وسرعان ما زالت تلك الخلجة المضطربة ، حينما تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له .. » .

ثم علم كذلك أن السبب في ذلك واضح إذا ألقم النظر ، وهو أن والديه سبب وجوده . كأنما عملته الصالح امتداد لعملهما ، وهنا أخذته موجة من الفرح والابتهاج ، إذ عرف مفتاح السر الذي يرجوه ويتمناه .. عرف كيف يبر بوالديه بعد مماتهما ، وقام من مجلس الرسول وكأنما هو قطعة مجسمة من النشاط والفرح .. إنه يسرع يريد أن لا يضيع على والديه فرصة ما دام حيا ..

بين أخوين .. !!

لم يكن مُحَمَّدٌ مِنَ الْحَقِيقَةِ بِالرَّجُلِ الْفَرِّ ، الَّذِي يُخَذِّعُ بِكَلَامِ
النَّاسِ ، وَيُنَصِّتُ لَوْشَايَاتِهِمْ ، وَيَسْتَمِعُ لِأَقَاوِيلِهِمْ .. فَهُوَ ابْنُ عَلِيٍّ ابْنِ
أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .. عَرِيقٌ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، فِيهِ مُنَاقِبُ
الطَّالِبِينَ مِنْ جُرْأَةٍ وَإِقْدَامٍ ، وَمُرُوءَةٍ وَشَهَامَةٍ . وَهُوَ ابْنُ خَوْلَةٍ بِنْتِ
جَعْفَرِ الْحَقِيقَةِ . وَلِهَذَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا تَمَيِّزًا لَهُ عَنْ أَخَوَيْهِ الْحَسَنِ
وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا . وَلَهُ مِنْ وَالِدَتِهِ طِبَاعٌ وَمُحَامَذٌ
كَانَتْ لَهُ صَفَحَاتٌ بَيضاء فِي حَيَاتِهِ بَيْنَ شَتَّى الْقِبَائِلِ ، وَمُتَخَلِّفِ
الطُّبَقَاتِ .



ولكن أبى اشرار الناس وشرارهم إلا السعى بينه وبين أخيه
الحسن بالوقعة ، والوشاية والنميمة . وهذا دائما شأن بعض الناس
فى مختلف العصور والأزمان ، لا يرضيهم أن يهنا إنسان . أو
يطمئن له خاطر ، أو يسعد بالقرب من صديقه أو قريبه أو أخيه ..
يا لله .. لكأنما كان الصفاء بينهما قرحة فى جسم هؤلاء النمامين .
وشوكة فى ظهورهم ، ووخزة عظمهم ، وتؤلهم وتضيقهم على
الدوام .. ١١

وما أقسى الواقعة بين آل بيت واحد ، وخاصة إذا كان هذا
البيت أشرف البيوت على الزمن ، وأحبها عند الله .
ولقد ابن الحنفية فى الأمر ورأى أنه ليس من الصالح العام أو
الخاص أن تسع الهوة بينه وبين أخيه الحسن ، وأنه لمن الظلم البين ،
والخسران المبين أن يمكن الواشى مما يريد ، ومن الحق الواضح
والعدل الحبيب أن يضيع عليه هذه الفرصة ليقعد بها على الدوام
متألماً محسوراً .

وأنه ليعلم أن أخاه الحسن على درجة من الفضل والورع
والتقوى لا تدانيها درجة ، وأن الله سبحانه وتعالى بارك فى نسيانه
وجعل منه النورية الصالحة ، وأن ذراريه بعون الله ستكون فى طليعة
المنتسبين إلى الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وأنه رفض
الدنيا وطلقها ثلاثاً كما رفضها أبوه من قبل ، وأنه يمتاز عنه
بأنه ابن الزهراء حبيبة الرسول ، والأثيرة لديه ، الطاهرة البتول ، سيده
نساء أهل الجنة . وأن كرمه وجودة بلغ الغاية ، وجاوز

النهاية ، فلا يَرُدُّ سائلا ، ولا يقطعُ نائلا . قوئُ الحُجَّة ، واضحُ البرهان . مدحه شاعر ، فأجزل له العطاء ، فليم على ذلك فقال :
- أتراني خفتُ أن يقولَ لستُ ابنُ فاطمةَ الزَّهراءِ بنتِ رسولِ الله ، ولا ابنُ عليِّ بنِ أبي طالب ، ولكني خفتُ أن يقولَ : لستُ كرسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا كعليِّ رضي الله عنه فيصدق ، ويحمل عنه ، ويبقى مُخلداً في الكتب ، محفوظاً على السنة الرواة ، فقال الشاعر :

أنت والله يا ابنَ رسولِ الله - أعرفُ بالمدح والذم مني
وحقاً لقد كان الحسنُ عليَّ ما وصف الشاعر ، بصيراً - بجانب هذه الصفات كلها - بمواضع الكلام ومواقعه ، عالماً بأسرارهِ ومحاميه ، يلجمُ من يُحاجُّهُ ويُفجِّمُهُ ، وما حادثُهُ مع حبيبِ بنِ مسلمةَ الفهديِّ بعيد . إذ قال حبيب :

- ربُّ مسير لك في غير طاعةِ الله !

قال حبيب : أَمَا مسيرى إلى أيك فليس من ذلك .. !
قال الحسن : بلى ، لقد قعد بك في دينك ، فلو أنك إذ فعلت



شراً قلت خيراً ، كنت كمن قال الله عز وجل ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ ولكنك كما قال ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .. !

وهكذا مضى ابن الحنفية رضي الله عنه يستعرض حياة أخيه الحسن ، ويعز عليه أن تفلح معهما وشاية الواشي ، وكيد الكائس وتغى الباغين !

إذن فعليه أن يعالج الأمر من طريق الخير كعادته دائماً في كل أعماله ، والخير هو الطريق الواضح المعالم ، البين النهج ، ولا يضيع الإنسان إذا لزمه على الدوام .. ولكن أينهب إلى الحسن ويشر له الموقف ، ويطلب منه الصقح والعفو ، ويرجوه أن يغفر له ما قاله الواشي عنه جملة بلا تفصيل ، ولا داعي للنقاش والملاحاة ، والأخذ والرد ، فذلك حبل يطول ويطول ، ولا يكاد يصل إلى غاية ، أو ينتهي إلى نهاية ؟ أم يُرسل إلى الحسن رقعة يُبين له فيها ظروفه ، ويشرح حاله ، وهذا أسلم طريق في رأيه ، إذ ربما يكون في اللقاء ما لا يُحمد عقباه ؟

وهكذا ظل محمد بن الحنفية يقلب الأمر على وجوهه الممكنة وحالاته المختلفة ، ليصل إلى أهون الطرق ، وأسلم السبل ، وكل غاية ومناه أن يصل ما يكاد يقطع الواشي بينه وبين أخيه ، أحب الناس إليه وأقربهم إلى نفسه وفراذه ، وأخيراً رافت في نظره فكرة الرسالة ، لأنها مترجم عما في نفسه . وتعبّر أجمل تعبير والطفه وسيكبتها بأسلوب آخر لم يعرف له الناس مثيلاً من قبل ، سيتنازل عن كبريائه إلى حد ، وسيحاول

جهد الاستِطاعة أن يضع أخاه في موضعه اللائق به ، تجلّة
واختاراً .. إن اللين والحيّلة هما أساس الصّفاء والوّد ، ومنهل
الإخلاص والعطف ، فلماذا لا يلوذ بهذه الصّفات الجميلة في
عسى الله أن يفرّج كُرْبته ١٩ وكأنّما أهمّ هذه الفكرة فقام من
قوره . وأمسك بالقلم وراح يُسطر : « أمّا بعد ، فإنّ أبى وأباك
علىّ بن أبى طالب ، لا تفضّلنى فيه ولا أفضلك ، وأمى امرأة من
بنى حنيفة ، وأمك فاطمة الزّهراء بنت رسول الله صلّى الله عليه
وسلم ، فلو ملئت الأرض بحلّ أمى لكانت أمك خيراً منها .. ؟!
فإذا قرأت كتابى هذا فأقيد حتى ترضانى ، فإنك أحقّ بالفضل
منى .. ١١ »

وقرأ الكتاب ، وفكر فيه .. إنه الحقّ والصّدق ، فلماذا يأنف من
كلمة الحقّ .. ١٢

وقرأ الحسن الكتاب أيضاً ، فعلم أنّه الحقّ والصّدق ، فلماذا
لا يذهب إلى أخيه يرضاه ١٢ لقد عرف أخوه كيف يقهره
ويتغلّب عليه ١١ وفى الوقت نفسه حفظ لكلّ كرامته وعزّة
نفسه ، فالعمّ بها من فكرة جليّة .

وفى لحظة مباركة من تلك اللحظات التى يُنعم الله بها
على عباده ، ويشملهم بعطفه وحنّانه ، ويضفى
عليهم رداء رحمة ورضوانه .. فى لحظة من هذه
اللحظات اجتمع شمل الأخوين ، فكفهر وجه
الشيطان ، واستبشرت ملائكة الرحمن ١١..

